

العنوان:	حجية القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه
المؤلف الرئيسي:	النتشه، جودي صلاح الدين
مؤلفين آخرين:	أبو عيد، العبد خليل محمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1996
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 200
رقم MD:	550720
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ، أصول الفقه، الأدلة الشرعية، القياس، الأحكام الفقهية
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/550720">http://search.mandumah.com/Record/550720</a>

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

النتشه، جودي صلاح الدين، و أبو عيد، العبد خليل محمد. (1996). حجية القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الاردنية، عمان. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/550720>

إسلوب MLA

النتشه، جودي صلاح الدين، و العبد خليل محمد أبو عيد. "حجية القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه" رسالة ماجستير. الجامعة الاردنية، عمان، 1996. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/550720>

## تمهيد في التعريف بالمذهب الظاهري

وفيه مطالب:

- المطلب الأول: نشأة المذهب الظاهري وأسباب نشوئه.
- المطلب الثاني: التعريف بأهم رجال المذهب الظاهري.
- المطلب الثالث: أهم أصول المذهب الظاهري.
- المطلب الرابع: مدى إنتشار المذهب الظاهري.
- المطلب الخامس: رأي المذاهب الأخرى في المذهب الظاهري.

## المطلب الأول: نشأة المذهب الظاهري وأسباب نشوئه:

قبل الخوض في أسباب نشوء المذهب الظاهري، لا بد لنا من الحديث عن نشأة هذا المذهب، وسبب تسمية أصحابه بالظاهرية؟

يكاد يجمع المؤرخون على أن أول من أحدث القول بالظاهر هو داود بن علي الأصفهاني. قال ابن النديم: (أبو سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الأصفهاني وهو أول من استعمل قول الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة وألغى ما سوى ذلك)(١). وقال الخطيب البغدادي عنه: (هو أول من أظهر إنتحال الظاهر)(٢). وقال في موضع آخر: (هو إمام أصحاب الظاهر)(٣). وقال السبكي: (إمام أهل الظاهر)(٤). وعلى هذا فينسب المذهب الظاهري إلى داود بن علي الظاهري(٥) وتنسب إليه الطائفة الظاهرية(٦).

وقد اشتهر داود بالظاهري نسبةً إلى تمسكه بظاهر الكتاب والسنة فهو يعتبر مؤسس المذهب الظاهري كما ذهب إلى ذلك معظم العلماء(٧). فأتباع داود الظاهري يعرفون بالظاهرية قال ابن خلكان: (وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية)(٨). وأما عن سبب تسميتهم بالظاهرية فقد بين العلماء أن سبب ذلك هو أخذهم وعملهم بظاهر الكتاب والسنة(٩). والقول بالظاهر وإن كان أول من أظهره وجعله مذهباً متبعاً هو داود الظاهري، إلا أن له جذوراً عميقة قبل داود الظاهري.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٧٤/٨.

(٣) نفس المصدر، ٣٦٩/٨.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. الطناحي، و د. الخلو، ٢٨٤/٢.

(٥) د. محمد سلام، مذکور مناهج الإجتهد في الإسلام، ص ٦٩٧. و د. محمد أحمد سراج الفقه الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ١٧٨.

(٦) الزركلي، الأعلام ٣٣٣/٢، و د. شعبان اسماعيل، أصول الفقه تاريخه ورجاله، ص ٩١.

(٧) الروائي المهدي، الإجتهد في الشريعة الإسلامية، ص ٣٧٣.

(٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٢٥٥/٢.

(٩) محمد الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ١٧٣/٢، و د. صبحي المحمصاني فلسفة التشريع في الإسلامي، ص ٧٢.

يقول صاحب كتاب "داود الظاهري": (إن الإتجاه الى الظاهر له جذور عميقة ممتدة إلى عصر الصحابة- رضوان الله عليهم- وإن كان الإتجاه إليه لم يكن مذهباً ملتزماً في كل الأحوال ولا في جميع المسائل بل كان يخضع لذاتية المجتهد فيما يؤديه إليه إجهاده في بعض المسائل دون بعضها الآخر، فلم يكن الإمام داود الظاهري أول من أظهر القول بالظاهر إلا أنه جعل الإتجاه إلى الظاهر مذهباً ملتزماً يدعو إليه ويتنصر له ووضع اصوله وقواعده<sup>(١)</sup>).  
 ألا أنه لم يبين لنا هذه الجذور ومتى بدأ القول بالظاهر ومن الذي ذهب إليه قبل داود الظاهري.

### أسباب نشأة المذهب الظاهري:

بعد هذا التمهيد في نشأة المذهب الظاهري، نود التعرف على أسباب نشأة المذهب الظاهري.

يرى بعض العلماء أن الظاهرية نشأت كرد فعل عن لإتساع إستعمال القياس في الفقه الإسلامي، فقد إنتشر إستعمال الفقهاء للقياس في المنة الثانية للهجرة، وقد (نشط القياس في المنة الثانية للهجرة في مدرسة الفقه كما نشط في مدرسة اللغة والنحو، توطدت أركانه وسمقت معالمه، وصارت له الكلمة في أكثر علوم العصر، وامتد ذلك إلى علوم الشريعة حتى أصبح في بعض المذاهب رابع الأصول الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع)<sup>(٢)</sup>.

ثم بالغ فيه جماعة فقدموه على الإجماع، وغلا آخرون فردوا الأحاديث بالقياس، وأغرق فريق ثالث فصار يؤول الآيات، ويحيد بها عن معناها الذي أنزلت فيه إذا عارض ذلك قياساً له أو رأياً<sup>(٣)</sup>.

وبعد هذه المبالغة والغلو في إستعمال القياس صار هناك رد فعل وهو دعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة والعناية بعلومهما والعمل بهما، وأخذوا يحذرون الناس من الرأي والقياس، ونشأ تبعاً لذلك كثرة مهاجمة القياس الفقهي من المحدثين ومن أهل الظاهر الذين كانوا يرون أن الشريعة تعبد محض لا مجال فيها للقياس.

ومما يسر لهم هجومهم على أصحاب القياس أن السنة قد جمعت من معظم أنحاء البلاد الإسلامية، وتحصل لهم منها ذخيرة عظيمة في كل فرع من فروع الفقه بحيث لم يعد هناك حاجة إلى القياس في نظرهم<sup>(٤)</sup> (في مثل هذا الجو نشر داود بن خلف إمام أهل الظاهر مذهبه في بغداد فمثل

(١) الدكتور عارف خليل أبو عبد داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي، ص ٦٩٢.

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني، مقدمة ملخص إبطال القياس لابن حزم، ص ٤.

(٣) الدكتور عارف أبو عبد، الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي، ص ١٣٢. والأستاذ سعيد الأفغاني، مقدمة

ملخص إبطال القياس والرأي لابن حزم، ص ٤.

(٤) الدكتور عارف خليل أبو عبد، الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي، ص ٣٩-٤٠.

الطرف المقابل لغلاة القياسين، وراج الأخذ بظاهر النصوص وإغفال ما عداها، وعرفت النزعة بالظاهرية، والمذهب بالمذهب الظاهري<sup>(١)</sup>.

فقد ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى أن المذهب الظاهري نشأ كرد فعل في مقابل غلاة استعمال القياس<sup>(٢)</sup>.

قال الدكتور بسيوني : (نشأ المذهب الظاهري كرد فعل طبيعي للمذهب القياسي والإسراف فيه، وبهذا المعنى يمكن أن نقول إن الظاهرية هي الإتجاه المضاد لحركة المستهينين بالنصوص، فالوقوف عند النص يقابل الإسراف في تجاوزه)<sup>(٣)</sup>.

بينما يرى البعض الآخر من العلماء أن الظاهرية ما نشأة وسميت بهذا الاسم إلا على سبيل المقابلة بينها وبين الباطنية الإسماعيلية والصوفية.

وقد ذهب إلى هذا الرأي أيضاً بعض العلماء المعاصرين<sup>(٤)</sup>، قال الدكتور ممدوح حقي في نشأة هذا المذهب: (أنشأه داود بن علي الظاهري الأصفهاني إرتكاساً لتصرف بعض المفسرين والمؤولين والقصاص وأصحاب الرأي الموسع والباطنية)<sup>(٥)</sup>.

وقال عبداللطيف شرارة: (ذلك هو المذهب الظاهري في أبراز خطوطه وأوضح مبادئه، فقد كان في جملته رد فعل على الحركات والمذاهب الباطنية)<sup>(٦)</sup>.

وهذا الكلام لا يصح من عدة وجوه:

الأول: أن الظاهرية قد أسسها داود الظاهري قبل ظهور الباطنية.

ثانياً: أنه لم يعرف اتصال لداود الظاهري بالباطنية.

ثالثاً: أنه لو كانت الظاهرية رد فعل للباطنية لبين ذلك أصحاب المذاهب بينما لا نجد لهم كلاماً في هذا.

رابعاً: إن أهم رجال المذهب بعد داود الظاهري هو ابن حزم لم يكن له كلام على الباطنية إلا بقدر يسير كما رد على معظم الفرق.

(١) الأستاذ سعيد الأفغاني، مقدمة ملحق إبطال القياس والرأي لابن حزم، ص ٦.

(٢) الأفغاني، مقدمة ملخص إبطال القياس والرأي لابن حزم، ص ٦، و د. صلاح الدين بسيوني، الأخلاق والسياسة عند ابن

حزم، ص ٤٨، والأستاذ أحمد أمين ضحى الإسلام ٢٣٦/٢.

(٣) الدكتور صلاح الدين بسيوني، الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ص ٤٨.

(٤) الدكتور ممدوح حقي، مقدمة حجة الوداع لابن حزم، ص ٢٠، وعبد اللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي، ص

٧٣.

(٥) الدكتور ممدوح حقي، مقدمة حجة الوداع لابن حزم، ص ٢٠.

(٦) عبداللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي ص ٧٣.

وفي معظم كتب ابن حزم مناقشات تؤكد أن الظاهرية مذهب فقهي يجتهد في الفروع  
الفقيه ويستنبط الأحكام من الكتاب والسنة مثل بقية المذاهب الأخرى وإن كان عليه بعض  
المآخذ<sup>(١)</sup>.

وتبعاً لهذه الوجوه أرى أن الراجح هو أن المذهب الظاهري نشأ كرد فعل لتوسع الفقهاء في  
إستعمال القياس.

---

(١) د. عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص ٩٢.

## المطلب الثاني: التعريف بأهم رجال المذهب الظاهري:

إذا كان داود مؤسس المذهب الظاهري، فمن داود هذا؟ وكيف نشأ؟ وما هو مذهبه الفقهي؟ وما هي مكانته بين العلماء؟.

### ١- اسمه وكنيته:

يتفق المؤرخون على إسم داود الظاهري وكنيته فهو الإمام داود بن علي بن خلف الأصفهاني الأصل، واشتهر بداود الظاهري نسبة إلى أخذه بظاهر الكتاب والسنة، ولأنه أول من أظهر القول بظاهرية الشريعة، واعتمد على ظواهر النصوص، ويكنى بأبي سليمان<sup>(١)</sup>.

### ٢- مولده ونشأته:

يختلف المؤرخون في تاريخ مولد الإمام داود الظاهري فذهب بعضهم إلى أن مولده كان سنة مائتين من الهجرة ٢٠٠هـ، ومن ذهب إلى هذا الخطيب البغدادي<sup>(٢)</sup> والسبكي<sup>(٣)</sup> والذهبي<sup>(٤)</sup> والنووي<sup>(٥)</sup>.

كما ذهب البعض الآخر إلى أن مولده كان سنة اثنتين ومئتين ٢٠٢هـ ومن ذهب إلى هذا ابن خلكان<sup>(٦)</sup> والشيرازي<sup>(٧)</sup>.

وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين على الأخرى، هذا مع إتفاق المؤرخين على تحديد مكان ولادته، وأنه ولد بالكوفة<sup>(٨)</sup>.

٤٧٩١٨٠

وقد نشأ الإمام داود الظاهري ببغداد وليس لدينا في كتب التاريخ والتراجم ترجمة وافية لهذا الإمام تحدثنا عن نشأته الأولى وعن أسرته إلا أنهم ذكروا أنه ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد وتعلم فيها

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٨٤، والخطيب البغدادي تاريخ بغداد ٨/٢٦٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان

٢/٢٥٥، والذهبي، العبر في تاريخ من غير ١/٣٨٩، وتذكرة الحفاظ ٢/٥٧٢، وابن حجر لسان الميزان ٢/٤٢٢.

(٢) تاريخ بغداد، ٨/٢٧٥.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٢/٢٨٤.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢/٥٧٢.

(٥) النووي تهذيب الأسماء واللغات، ٢/١٨٢.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٥٧.

(٧) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٢.

(٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٥٧، والنووي، تهذيب الأسماء واللغات، ١/١٨٢. والمرآغي، الفتح المبين في طبقات

الأصوليين، ١/١٥٩.



وسمع الكثير من محدثي عصره، وروى عنهم الحديث، وانتهت إليه رئاسة العلم فيها، فكان له مجلس يحضره كثير من العلماء<sup>(١)</sup>.

### ٣- مذهبه الفقهي:

درس داود الظاهري المذهب الشافعي وكان من المتعصبين للإمام الشافعي، فقد قرأ كتب الإمام الشافعي، وتخرج على تلاميذه وأصحابه، وأخذ داود عن أبي ثور وعن إسحاق بن راهويه من الشافعية، وقد كان داود من المعجبين بالإمام الشافعي حتى عدّه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى من علماء الشافعية، وترجم له ترجمة وافية<sup>(٢)</sup> مع أن الإمام داود الظاهري من بيت حنفي فقد كان أبوه حنفياً<sup>(٣)</sup>.

قال الشيرازي: (وكان من المتعصبين للشافعي، وصنف كتابين في فضائله والثناء عليه)<sup>(٤)</sup>. وكان السبب في تمسكه بالمذهب الشافعي إعجابه بمنهج الإمام الشافعي في التمسك بالنصوص وإعتماده على السنة، وإبطاله للإستحسان<sup>(٥)</sup>.

لكنه لم يلبث إلا قليلاً أخذاً بالمذهب الشافعي، ثم تحول عنه وانتحل لنفسه مذهباً خاصاً قوامه التمسك بظواهر النصوص من الكتاب والسنة ونفي التعليل والاجتهاد بالرأي بكافة أنواعه من قياس وإستحسان وما أشبه ذلك<sup>(٦)</sup>.

ولكن لماذا خرج داود الظاهري على المذهب الشافعي رغم إعجابه الشديد بالإمام الشافعي ومذهبه؟

قد يكون من أهم أسباب خروجه على المذهب الشافعي هو ما لاحظته على الإمام الشافعي من أخذه بالقياس في بعض المسائل واعتباره مصدراً من مصادر استنباط الأحكام الشرعية مع أنه أبطل الإستحسان.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٦٩/٨-٣٧٠، وابن خلكان، وفیات الأعيان، ٢٥٥/٢-٢٥٦، وأبو زهرة، ابن حزم

حياته وعصره، ص ٢٨٩، ود. حسن الشاذلي، المدخل للفقهاء الإسلاميين، ص ٢٩٩.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٢٨٤/٢-٢٩٣، والكوثري، مقدمة البند في أصول الفقه لابن حزم، ص ٣، ود.

مذكور، مناهج الاجتهاد في الإسلام، ص ٦٩٩.

(٣) د. علي حسن عبد القادر، نظرة عامة في الفقه الإسلامي، ص ٢٧٨.

(٤) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٢.

(٥) أنظر أبا زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ٣٤٦/٢، والدكتور مذكور، مناهج الاجتهاد في الإسلام، ص ٦٩٩، ود. حسن

الشاذلي، المدخل للفقهاء الإسلاميين، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٦) أنظر أبا زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ٣٤٦/٢، وابن حزم حياته وعصره، ص ٢٩١.

فخرج داود الظاهري على مذهب إمامه ورفض القياس وأبطله معتقداً أن في إبطال الشافعي للإستحسان إبطالاً للقياس لاحالة<sup>(١)</sup>.

وعندما سئل داود الظاهري (كيف تبطل القياس وقد أخذ به الشافعي فقال: أخذت أدلة الشافعي في إبطال الإستحسان فوجدتها تبطل القياس)<sup>(٢)</sup>.

وأياً كان السبب في خروجه على مذهب الإمام الشافعي، فقد وضع لنفسه مذهباً خاصاً، وحدد أصوله وقواعده، وأصبح له فيما بعد أتباع وتلاميذ وكان له إنتشار في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي.

#### ٤ - مكانته العلمية وآراء العلماء فيه:

لقد كان الإمام داود الظاهري حافظاً للحديث لأن فقهه كان يعتمد على النصوص من الكتاب والسنة.

قال السيوطي فيه: (كان بصيراً بالحديث صحيحه وسقيمه)<sup>(٣)</sup>.

وقال الخطيب البغدادي: (وفي كتبه حديث كثير)<sup>(٤)</sup>.

كما كان له مجلس علم يحضره جمع كبير من الناس قال الشيرازي: (قيل أنه كان في مجلسه أربعمئة صاحب طيلسان أخضر)<sup>(٥)</sup>.

وإلى جانب علمه هذا كان كثير التواضع زاهداً متقلداً من الدنيا وزينتها قال الخطيب البغدادي: (كان ورعاً ناسكاً زاهداً)<sup>(٦)</sup>.

وقد أكثر الناس من مدحه والثناء عليه، فقد عرف بسعة علمه وذكائه قال ابو العباس ثعلب: (كان داود عقله أكثر من علمه)<sup>(٧)</sup>.

وكان صاحب شخصية قوية يتصف بحضور البديهة، (قال أبو عمرو أحمد بن المبارك المستملي: رأيت داود بن علي يرد على إسحاق بن راهوية وما رأيت أحداً قبله ولا بعده يرد عليه هيبة له)<sup>(٨)</sup>.

(١) د. مذكور مناهج الاجتهاد في الإسلام، ص ٧٠٠، و د. محمد أحمد سراج، الفقه الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص

١٧٨.

(٢) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، ص ٣٩١.

(٣) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٢٥٧.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٧٠/٨.

(٥) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٢.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٦٩/٨.

(٧) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٢، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٥٧/٢.

(٨) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق الدكتور الطناحي، الدكتور الحلو ٢٨٥/٢.

وإلى جانب هذا فقد كان داود الظاهري موصوفاً بالتواضع وحسن العبادة (قال القاضي المحاملي: رأيت داود بن علي يصلي، فما رأيت مسلماً يشبهه في حسن تواضعه) (١).

#### ٥- نفور العلماء منه وقلّت الرواية عنه:

بجانب هذا الثناء والمدح من العلماء في الإمام داود الظاهري إلا أن الفقهاء والمحدثين نفروا منه، وقلّت رواية الحديث عنه مع سعة علمه بالحديث قال الخطيب البغدادي: (وفي كتبه حديث كثير، إلا أن الرواية عنه عزيزة جداً) (٢).

فما السبب في نفور العلماء منه وقلّت رواية الحديث عنه؟؟

يمكن القول بأن الأسباب كثيرة ومتنوعة ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: لإنتحاله القول بظاهر النص ووقوفه عند ظواهر النصوص دون الخوض فيما وراء ذلك من المعاني.

ثانياً: ما نقل عنه من أنه يقول بأن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وأنه لا حرج في أن يمس الجنب والحائض المصحف الشريف، وهو بذلك قد خالف جمهور الفقهاء، وقد كان العلماء في عصره يعتبرون من يقول هذا بأنه مبتدع وضال، ولا يؤخذ الحديث في نظرهم من أهل البدع والضلال.

ثالثاً: إنكاره القياس جملة وتفصيلاً، وبهذا فقد خالف جمهور الفقهاء والأصوليين.

رابعاً: محاربته للتقليد، وفتحه باب الإجتهد حتى جراً العامة على القول في الدين.

خامساً: جرأته الشديدة على العلماء وعدم تهيبه أحداً منهم عند المناقشة كما سبق في قول أحد العلماء عنه بأنه رد على إسحاق بن راهوية وما رأى أحداً قبله يرد عليه هيبة له (٣).

#### ٦- وفاته:

اتفقت المصادر التاريخية على سنة وفاة الإمام داود الظاهري وأنه توفي - رحمه الله - سنة مائتين وسبعين للهجرة في مدينة بغداد (٤).

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٧١/٨.

(٢) الخطيب البغدادي، نفس المصدر، ٣٧٠/٨.

(٣) أنظر أبا زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ٣٤٧/٢-٣٤٨، وابن حزم حياته وعصره، ص ٢٩٢. والدكتور مذكور، مناهج

الإجتهد في الإسلام، ص ٦٩٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٧/١١، والذهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٧٣/٢، والمراغي، الفتح المبين في طبقات الأصوليين،

## أبو محمد علي بن حزم:

كان من أقوى اتباع هذا المذهب في المشرق والمغرب الإمام أبو محمد علي بن حزم الظاهري، الذي عمل طوال حياته على نشر هذا المذهب والدفاع عنه، ولا أستطيع في هذه العجالة أن أترجم ترجمة ضافية لهذا الإمام الجليل، فقد كُتب فيه مؤلفات (١) ورسائل جامعية (٢) إلا أنني سأترجم له بترجمة موجزة.

### ١ - إسمه وكنيته:

لا خلاف بين المصادر التاريخية في إسم الإمام ابن حزم وكنيته فهو الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، ويكنى ابن حزم بأبي محمد، واشتهر بإبن حزم الأندلسي (٣).

### ٢ - أصله ومولده ونشأته:

يرى معظم من ترجم لابن حزم أنه فارسي الأصل، وأن جده الأكبر يزيد هو أول من أسلم من أجداده، وأنه مولى ليزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي المعروف "بيزيد الخير".  
وجده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس من أجداده فهو فارسي الأصل بالولاء، أندلسي الدار (٤).

وهذا النسب الذي ذكره معظم المؤرخين يدل على أنه ينتمي لأسرة فارسية.  
وقد حاول معاصره أبو مروان بن حيان التشكيك في هذا الأصل الفارسي كما أنكر صحة ولائه لبني أمية حيث قال: (وقد كان من غرائب إتماؤه في فارس، وإتباع أهل بيته له في ذلك، بعد حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، الراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم لبني

(١) أنظر على سبيل المثال أبا زهرة، ابن حزم حياته وعصره، والدكتور عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، والدكتور محمد طه الخاجري، ابن حزم صورة أندلسية، والدكتور زكريا إبراهيم، ابن حزم الأندلسي، والدكتور عبد الكريم خليفة، ابن حزم حياته وأدبه.

(٢) أنظر على سبيل المثال سهير فضل الله الشافعي، ابن حزم وأراؤه الكلامية والفلسفية، رسالة دكتوراه من جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٤م، والدكتور أحمد الناصر أحمد، ابن حزم وموقفه من الإلهيات، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٩٨٠م. والدكتور عبد الله الزايد ابن حزم الأصولي، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر.

(٣) ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ١٦٧/١، والذهبي تذكرة الحفاظ، ١١٤٦/٣، والعبر في خبر من غير، ٣٠٦/٢، وسير أعلام النبلاء، ١٨٤/١٨، والضبي بغية المتتمس، ٥٤٣/٢، وابن بشكوال الصلة، ٦٠٥/٢، والحميدي، جذوة المقتبس، ٤٨٩/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٩٩/٣، وياقوت الحموي معجم البلدان، ١٦٥٠/٤، والسيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٤٣٥.

(٤) الحميدي جذوة المقتبس، ٤٨٩/٢، والضبي بغية المتتمس، ٥٤٣/٢، وابن خلكان وفیات الأعيان، ٣٢٥/٣، والذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨-١٨٥.

أمية أولياء نعمته لا عن صحة ولاية لهم عليه فقد عهدته الناس خامل الأبوة مولد الأرومة من عجم لبة، جده الأدنى حديث عهد بالإسلام، لم يتقدم لسلفه نباهة فأبوه أحمد على الحقيقة هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر<sup>(١)</sup>.

وكل من أنكر أصل ابن حزم الفارسي أو شكك في ولائه القرشي أعتمد على هذا النص الذي أورده ابن حيان يستخر فيه من نسب ابن حزم إلى الفرس ويستكثر ذلك عليه.

والذين ذهبوا إلى إنكار أصله الفارسي قالوا بأن أصله من إسبانيا وأن ابن حزم خرج من أسرة من أسبانيا، كانت تقيم في لبة، وكانت تدين بالنصرانية، وظلت على ذلك بعد الفتح الإسلامي بزمان غير يسير، حتى أعتنق حزم الذي يحمل اسمه ويتنسب إليه أبو محمد بن حزم الإسلام في منتصف القرن الثالث الهجري<sup>(٢)</sup>.

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور المؤرخين من أن أصله فارسي.

وقد ولد أبو محمد بن حزم قبل طلوع الشمس، وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان من سنة ٣٨٤هـ<sup>(٣)</sup>.

وهذا هو ما كتبه ابن حزم إلى القاضي صاعد حيث قال: (وكتب إلي بخط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة)<sup>(٤)</sup>.

وقد ولد على الجانب الشرقي من قرطبة<sup>(٥)</sup>.

هذا وقد نشأ الإمام ابن حزم في بيت عز ومال وجاه، وقد وصف لنا الحافظ الذهبي نشأة ابن حزم فقال: (نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفراطاً، وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسة كثيرة، وكان والده من كبراء أهل قرطبة)<sup>(٦)</sup>.

وقد أخبرنا أبو محمد بن حزم عن نشأته الأولى وتربيته، وأن والده قد كلف النساء بتربيته حيث قال: (ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تفيل وجهي، وهن علمنني، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخط ... الخ)<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ١٧٠/١.

(٢) الدكتور محمد طه الحاجري، ابن حزم صورة اندلسية، ص ١٧.

(٣) ابن بشكوال الصلة ٦٠٦/٢، والمقرئ نفع الطيب ٧٨/٢-٧٩، والحميدي جذوة المقتبس ٤٩١/٢.

(٤) ياقوت الحموي معجم الأدباء ١٦٥٠-١٦٥١.

(٥) الذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٨، والمقرئ نفع الطيب ٧٨/٢ وابن بشكوال الصلة ٦٠٦/٢.

(٦) الذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٦/١٨.

(٧) ابن حزم طوق الحمامة في الإلفة والآلاف تحقيق الدكتور الطاهر أحمد مكي ص ٧٩.

ويبدو أن تربيته الأولى وتعليمه كاد يكون مقصوراً على تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن ورواية الشعر.

وعندما وصل ابن حزم إلى سن الشباب صحبه أبوه إلى مجلس المظفر بن أبي عامر<sup>(١)</sup>. ثم بدأ بعد ذلك بمرحلة جديدة من حياته وهي مرحلة التحصيل العلمي، والتزدد على مجالس العلماء، والأخذ عنهم (وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجصور، قبل الأربعمائه)<sup>(٢)</sup>. ثم تابع ابن حزم بعد ذلك تحصيله العلمي، وسماعه من العلماء والمحدثين، إلا أن هذا النعيم والعز لم يصفو له فقد تعرض هو وأسرته لنكبات ومحن كثيرة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الدكتور عبد الحليم عويس ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص ٦٢.

(٢) الحميدي جذوة المقتبس ٤٩٠/٢، وانظر الضي بغية الملتبس ٥٤٣/٢.

(٣) الأستاذ عمر فروخ ابن حزم الكبير ص ٥١-٥٤. وعبد اللطيف شرارة ابن حزم رائد الفكر العلمي ص ٣٩-٥١. وسعيد الأفغاني في مقدمة ابن حزم ورسالة المفاضلة بين الصحابة ص ٢٥-٣١. وأبو زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٢١-٢٣.

## مذهب ابن حزم الفقهي:

بدأ ابن حزم أول ما بدأ بدراسة المذهب المالكي لأنه كان المذهب السائد في بلاد الأندلس، وكان هو المذهب الرسمي للدولة وللعمامة في ذلك الوقت، وقرأ ابن حزم كتاب الموطأ للإمام مالك<sup>(١)</sup>.

بينما يرى فريق آخر من العلماء أن ابن حزم لم يكن مالكيًا بل كان شافعيًا ثم تحول إلى مذهب أهل الظاهر.

وفي ذلك يقول بعض العلماء المعاصرين: (لم يعتنق ابن حزم في الفقه المذهب الشائع في بلاد الأندلس لعهدده، وهو مذهب الإمام مالك بن أنس، وإنما إتخذ فيه مذهب الإمام الشافعي، وطفق يدافع عنه حتى عرف به بين العلماء)<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما ذهب إليه معظم المؤرخين من أنه نشأ شافعيًا ثم تحول إلى مذهب أهل الظاهر. قال ابن حيان: (مال به أولاً النظر في الفقه إلى رأي أبي عبد الله محمد بن أدریس الشافعي، وناضل عن مذهبه، وانحرف عن مذهب غيره، حتى وسمَّ به، ونسب إليه)<sup>(٣)</sup>.

ويؤكد هذا ما قاله الإمام الذهبي: (وكان شافعيًا ثم إنتقل إلى القول بالظاهر)<sup>(٤)</sup> وقال المراكشي: (وكان على مذهب الإمام أبي عبد الله الشافعي - رحمه الله - أقام على ذلك زماناً، ثم إنتقل إلى القول بالظاهر، وأفرط في ذلك حتى أربى على أبي سليمان داود الظاهري وغيره من أهل الظاهر)<sup>(٥)</sup>.

وهكذا نرى أن معظم المؤرخين يرون أن ابن حزم نشأ شافعيًا ثم تحول إلى المذهب الظاهري.

ويبدو أن سبب إعجابه بالمذهب الشافعي هو شدة تمسك الإمام الشافعي بالنصوص، وإعتباره الفقه نصاً، وشدة حملته على من أفتى بالإستحسان<sup>(٦)</sup>.

لكن ما الذي حمل ابن حزم على الخروج على المذهب الشافعي وإنتحال المذهب الظاهري بعد هذا الإعجاب بالمذهب الشافعي؟

(١) انظر أبا زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٣٨، وص ٩٠، وتاريخ المذاهب الإسلامية ٣٥٧/٢ والدكتور مذكور مناهج

الإجتهد في الإسلام ص ٧٠٤.

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمة ابن حزم ورسائله في المفاضلة بين الصحابة ص ٦١.

(٣) ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١٦٧/١، وانظر ياقوت الحموي معجم الأدباء ١٦٥٥/٤.

(٤) الذهبي تذكرة الحفاظ ١١٤٦/٣، وانظر السيوطي طبقات الحفاظ ص ٤٣٥.

(٥) المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٤٩.

(٦) انظر أبا زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٣٩، وتاريخ المذاهب الإسلامية ٣٥٧/٢.

لعل ما حدث مع الإمام داود الظاهري هو ما حدث مع الإمام ابن حزم في إنتقاله من المذهب الشافعي إلى المذهب الظاهري، فقد رأى ابن حزم فيه ما رآه داود إذ وجد أن الأدلة التي ساقها الشافعي لإبطال الإستحسان تصلح لأن تبطل القياس وكل وجوه الرأي أياً كانت<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك درس ابن حزم المذهب الظاهري، وعمل على نشره، ودافع عنه دفاعاً عنيفاً، واجتهد لنفسه على قواعد أهل الظاهر، ولزم دعوة الظاهرية ينشرها وينافع عنها بقوة وعنف في معظم كتبه حتى مات رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فقد نصب ابن حزم نفسه مدافعاً عن الفقه الظاهري في بلاد الأندلس<sup>(٣)</sup>. بل لقد تنقل ابن حزم في معظم مدن الأندلس لنشر هذا المذهب وإكتساب أتباع له<sup>(٤)</sup>. ويعتبر ابن حزم مدون هذا المذهب وناشره حتى إستحق لقب المؤسس الثاني للمذهب الظاهري، فقد بذل هذا الإمام جهوداً كبيرة في تنقيح مذهب الإمام داود الظاهري، وجادل عنه جдалاً عنيفاً، ووضع الكتب الكثيرة في تفسيره وتأنيده<sup>(٥)</sup>. وفي ذلك يقول أبو زهرة: (أنه دون المذهب ووازنه بغيره، ورتب أصوله ودافع عنها أقوى دفاع، فسجله في الوجود بحيث يتتبعه من يقصد إليه)<sup>(٦)</sup>.

ويصف ابن حيان إعتراف ابن حزم للمذهب الظاهري بقوله: (ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر، مذهب داود بن علي ومن إتبعه من فقهاء الأمصار فنقحه ونهجه، وجادل عنه، ووضع الكتب في بسطه، وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله رحمه الله)<sup>(٧)</sup>.

فقد دافع ابن حزم عن المذهب الظاهري، وترك في ذلك آثاراً كثيرة في نصرة المذهب الظاهري، كما شرح أصوله وفروعه<sup>(٨)</sup>.

يقول أبو زهرة: (إن ابن حزم فقيه ظاهري، أحيا فقه داود الأصفهاني وسلك به مسلكاً إتسم بسمته، فوسع رحابه وأيد فروعه بالأدلة، وناقض مخالفيه في أقوال صارمة، وجدل غلب فيه

(١) انظر أبا زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٤٠، وتاريخ المذاهب الإسلامية ٣٥٧/٢.

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني ابن حزم الأندلسي ورسالة المفاضلة بين الصحابة ص ٦١.

(٣) الدكتور زكريا إبراهيم ابن حزم الأندلسي ص ٢٠٣.

(٤) الدكتور زكريا إبراهيم نفس المرجع ص ٢٩.

(٥) الدكتور عبد السلام هارون مقدمة جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٦.

(٦) أبو زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٥٧٦.

(٧) ابن بسم الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١٦٧/١-١٦٨.

(٨) سعيد الأفغاني ابن حزم ورسائله في المفاضلة بين الصحابة ص ٤٣.



الإفحام والإلزام، وصال وجمال وعاضد أقوال الظاهرية بأقوال بعض الأئمة إن وجدوا فيها نصيراً<sup>(١)</sup>.

والحق أنه لولا ابن حزم لأندثرت فروع المذهب الظاهري وأصوله فلا نعرف منها إلا ما هو مبثغر في بطون الكتب<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - مكانته العلمية وأراء العلماء فيه:

إشتهر ابن حزم بعلمه الغزير، وذهنه المتوقد، وثقافته الواسعة وذكائه المفرط، وقوة حفظه. قال الذهبي: (وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم)<sup>(٣)</sup>. وقال السيوطي: (وكان صاحب فنون وورع وزهد، وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ)<sup>(٤)</sup>. وقال فيه القاضي صاعد: (كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان، ووفور حفظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار، وأخبرني ابنه أبو رافع الفضل بن علي أنه إجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة)<sup>(٥)</sup>.

وهذا إن دل على الشيء فإنما يدل على غزارة علمه، وسعة إطلاعه وكثرة تصانيفه في جميع الفنون فقد كان رحمه الله - مفسراً مع المفسرين ومحدثاً مع المحدثين، وفقهياً مع الفقهاء، وأصولياً مع الأصوليين، ومتكلماً مع المتكلمين وفيلسوفاً مع الفلاسفة، وأديباً مع الأدباء، ولغوياً مع اللغويين، ومؤرخاً مع المؤرخين<sup>(٦)</sup>.

وتصانيفه ومؤلفاته كثيرة جداً في شتى الفنون من الفقه والأصول والحديث، وعلم الكلام والفلسفة وغير ذلك، ولا يمكننا حصرها في هذه الترجمة البسيرة، ومن رغب في الإطلاع على إسمائها فليراجع<sup>(٧)</sup>.

(١) أبو زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٤.

(٢) الدكتور مذکور مناهج الإجتهد في الإسلام ص ٧٠٣.

(٣) الذهبي تذكرة الحفاظ ١١٤٦/٣.

(٤) السيوطي طبقات الحفاظ ص ٤٣٥.

(٥) ابن بشكوال الصلة ٦٠٥/٢، وانظر المقرئ نفع الطيب (٧٨/٢). وابن العماد شذرات الذهب ٢٩٩/٣، وابن حجر لسان الميزان ١٩٨/٤-١٩٩.

(٦) انظر محمد المنتصر الكتاني مقدمة موسوعة تقريظ فقه ابن حزم الظاهري ١٣/١.

(٧) الذهبي سير أعلام النبلاء ١٩٣-١٩٧، والمقرئ نفع الطيب ٧٨/٢-٧٩. والدكتور أحمد الناصر الحمد ابن حزم

وموقفه من الأهلآت ص ٦٨-٩٢. والدكتور عبد الحليم عويس ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي ص ١٠٨-

١٢٠. والدكتور صلاح الدين بيسيوني الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ص ٢٩-٤٧. والإستاذ سعيد الأفغاني ابن حزم

ورسائله في المفاضلة بين الصحابة ص ٤٨-٦٠.

وصدق ابن حيان حين قال: (كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة)<sup>(١)</sup>

وأحسن من وصف غزارة علمه تلميذه الحميدي حيث قال: (كان حافظاً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً للإحكام من الكتاب والسنة متفتناً في علوم جمّة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة، وتدبير الممالك متواضعاً ذا فضائل جمّة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فإن ابن حزم قد طرق أبواب العلوم الكثيرة وصار له فيها رأياً وإجتهداً، وقد شهد له الكثير من العلماء بالإجتهد المطلق في الفقه وعلوم الإسلام قال الذهبي: (ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الإجتهد كاملة تقع له المسائل المحررة، والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم)<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن خلكان: (كان ابن حزم حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً للإحكام من الكتاب والسنة .... وكان متفتناً في علوم جمّة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا)<sup>(٤)</sup>

وبجانب هذا المدح والثناء الشديد في ابن حزم، فقد وجد من ذمه وتكلم فيه بكلام جارح، ومن شنع على ابن حزم القاضي أبو بكر بن العربي، وقد صنف في الرد على ابن حزم كتاباً أسماه "الدواهي والنواهي"، وقد رد عليه أحد أسباط ابن حزم وهو أحمد بن محمد بن حزم في كتاب أسماه "الزوائغ والدوامغ"<sup>(٥)</sup>

كما حظ القاضي ابن العربي من ابن حزم ومن مكانته حيث قال: (وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عُدْتُ، وجدتُ القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيلاً كان من بادية إشبيلية يُعرفُ بإبن حزم، نشأ وتعلّق بمذهب الشافعي، إنتسب إلى داود، ثم خلع الكل، وأستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع ويحكم ويشرع وينسب إلى دين الله ما ليس فيه)<sup>(٦)</sup>

(١) ابن بسام الذخيرة إلى محاسن أهل الجزيرة ١٦٧/١، وانظر المقرئ نفع الطيب ٧٧/٢-٧٨. وياقوت الحموي معجم الأدباء ١٦٥٤/٤.

(٢) الحميري جذوة المقتبس ٤٨٩/٢-٤٩٠.

(٣) الذهبي تذكرة الحفاظ ١١٥٣/٣-١١٥٤.

(٤) ابن خلكان وفيات الأعيان ٣/٣٢٥.

(٥) انظر الذهبي تذكرة الحفاظ ١١٤٩/٣، وسعيد الأفغاني في مقدمة ملخص أبطال القياس لابن حزم ص ٨-٩، والدكتور عبد

السلام هارون مقدمة جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٦-٧.

(٦) نقلاً عن الذهبي تذكرة الحفاظ ١١٤٩/٣، وانظر الدكتور عمار الطائي آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ١٥٥/١.

وقال في موضوع آخر عن الظاهر وسبب إتباع أهل المغرب لمذهب الظاهرية: (وغيرهم رجل كان عندنا يقال له ابن حزم إنتدب لإبطال النظر وسد سبل العبر، ونسب نفسه إلى الظاهر إقتداءً بداود وأشياعه فسود القراطيس، وأفسد النفوس، وأعتمد الرد على الحق نظماً ونثراً<sup>(١)</sup>).  
إلا أن الأمام الذهبي يرى أن ابن العربي لم ينصف الإمام ابن حزم في أقواله هذه حيث قال: (لم يُنصف القاضي أبو بكر شيخ أبيه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط، وبالع في الإستخفاف به، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد، ولا يكاد، فرحمها الله وغفر لهما<sup>(٢)</sup>).  
وأرى أن هذا الذم من ابن العربي في ابن حزم لا ينقص من قدره فقد مر معنا ثناء العلماء عليه، ونقدمه وضلوعه في جميع العلوم والفنون.

##### ٥- أسباب شدة ابن حزم على العلماء ونفور العلماء منه:

لقد كان ابن حزم عالماً قوي الحجة، وقوي المعارضة، كما كان شديد المعارضة فقد أخذ عليه أنه كان عنيف العبارة على مخالفيه، فما كان يتورع عن سبهم ورميهم بما لا يليق من السباب والتفسيق والتكفير حتى كانت قسوة عباراته مضرب الأمثال قال ابن العريض: (كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين<sup>(٣)</sup>).  
وقد وصف لنا العلماء قسوة لسانه على العلماء والمخالفين له فقال ابن خلكان: (وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه. فنفرت عنه القلوب، وأستهدف لفقهاء وقته، فتمالأوا على بغضه، وردوا قوله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنه، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، فأقصته الملوك وشردته عن بلاده<sup>(٤)</sup>).  
وقال الذهبي في وصف ابن حزم وتطاوله وجرأته على الأئمة ورميهم بالكلام القارص: (وقد أمتحن هذا الرجل وشدد عليه، وشرد عن وطنه وجرت له أمور، وقام عليه الفقهاء لطول لسانه، وإستخفافه بالكبار، ووقوعه في أئمة الإجتهد بأفج عبارة، وأفظ محاورة وأبشع رد<sup>(٥)</sup>).  
وهذا ابن كثير يصف شدته على العلماء فيقول: (وكان ابن حزم كثير الوقعة في العلماء بلسانه وقلمه، فأورثه ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه وما زالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم، فطردوه عن بلاده<sup>(٦)</sup>).

(١) أبو بكر بن العربي عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي ١١١/١٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/١٩٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/١٩٩.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٣٢٧-٣٢٨.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣/١١٥٤.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٩٢.

وقد كان من نتائج أسلوبه اللاذع، وتمسكه بمنهجه الظاهري، وبغض الفقهاء له أن ضاق به العلماء في عصره، وإتفقوا عليه، واستعانوا على ذلك بأبن عباد حاكم إشبيلية فأحرق كتبه علانيةً. يقول ابن حجر في ذلك: (ثم تعصب عليه فقهاء المالكية بآراء تلك الديار فمقتوه وأذوه وطرده وحرقوا كتبه علانية وله في ذلك شعر:

فإن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري<sup>(١)</sup>

ولعل سائلاً يسأل ما أسباب حدة هذا الأمام على العلماء وعلى المخالفين له؟ إن هناك أكثر من سبب لهذه الحدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: الجفوة التي كانت بينه وبين أهل عصره، فقد إتهم في دينه وهجر من قومه، وجافوه وأحرقوا كتبه<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: ثقة ابن حزم بنفسه، وإعتداده بآرائه، فقد وقف من مخالفه موقف الرجل المكبر لنفسه، المعتد أكبر الإعتداد برأيه مما حمّله ذلك على الاستخفاف بالأئمة والعلماء<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: هناك سبب عضوي يرجع إلى مرض أصابه في الطحال يحدثنا عنه بنفسه فيقول: (ولقد أصابني علة شديدة، ولدت عليّ ربواً في الطحال شديداً، فولد ذلك عليّ من الضجر وضيق الخلق، وقلة الصبر والنزق أمراً حاسبت نفسي فيه، إذ أنكرت تبدل خلقي، واشتد عجلي من مفارقتي لطبعي، وصح عندي أن الطحال موضع الفرح إذا فسد تولد ضده)<sup>(٤)</sup>.

ولعلنا في ذكر هذه الأسباب نلتبس لابن حزم العذر في حديثه فقد كان لجفوة أهل زمانه له أثراً كبيراً، كما أن المرض الذي أصابه وحديثنا عنه بنفسه شيء فوق طاقته ولد ذلك عنده حدة وقسوة في العبارة.

(١) ابن حجر لسان الميزان ٤/٢٠٠.

(٢) انظر، أبا زهرة، ابن حزم، حياته وعصره ص ٢٢١. والدكتور محمود حمادة ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص ١٤١.

(٣) د. محمد طه الحاجري، ابن حزم صورة أندلسية، ص ١٣١. والدكتور محمود، حمادة ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص ١٤١.

(٤) ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق الدكتور الطاهر أحمد المدمكي، ص ٢١٠-٢١١.

## ٦- وفاته:

توفي ابن حزم في بلده من بادية "لبه" وقيل في "منت لشيم" وقد نقل صاعد عن ابنه أبي رافع: (أن أباه توفي - رحمه الله - عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة، فكان عمره - رحمه الله - إحدى وسبعين سنة وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يوماً<sup>(١)</sup>). وذهب إلى هذا معظم المؤرخين<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني: أهم أصول المذهب الظاهري

ليس لأصحاب المذهب الظاهري كتب تعرف منها آراؤهم وأصول مذهبهم إلا ما سح الله ببقائه من كتب ابن حزم، لذا سيكون أكثر إعتماذي في ذلك على كتب ابن حزم الظاهري. وفي هذا المطلب أتعرض لأهم أصول المذهب الظاهري التي يعتمد عليها الظاهرية في اصول الفقه وإستنباط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية.

١- الكتاب.

### ٢- السنة.

يعتمد المذهب الظاهري على نصوص القرآن والسنة لكن في حدود المعنى الظاهر، فهم يأخذون بظاهر النص دون التعميق في المعاني الباطنة التي قد يوحي بها اللفظ، فهم يدعون إلى التمسك بحرفية النص أو بظاهر الكتاب والسنة.

يقول ابن حزم: (الأصول التي لا يعرف شيء من الشرائع إلا منها ..... نص القرآن، ونص كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي إنما هو عن الله تعالى مما صح عنه عليه السلام نقل الثقات أو التواتر وإجماع جميع علماء الأمة)<sup>(٣)</sup>.

وقال في موضع آخر من كتبه: (وجملة الخير كله أن تلزموا ما نص عليه ربكم تعالى في القرآن، بلسان عربي مبين، لم يفرط فيه من شيء، تبياناً لكل شيء، وما صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم، برواية الثقات من أئمة أصحاب الحديث رضى الله عنهم، مستنداً إليه عليه السلام فهما طريقتان يوصلانكم إلى رضى ربكم عز وجل)<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن بشكوال الصلة ٦٠٦/٢.

(٢) أنظر ابن خلكان وفيات الأعيان ٣/٣٢٨، والذهبي سير أعلام النبلاء ١٨/٢١١، وابن كثير، البداية والنهاية، ٩٢/١٢.

(٣) ابن حزم الإحكام في أصول الأحكام ٧١/١.

(٤) ابن حزم، الفصل في المل والأهواء والنحل، تحقيق د. محمد نصر ود. محمد عميرة، ٢/٢٧٥.

والمقصود بالأخذ بالظاهر عندهم ما بينه الإمام ابن حزم وهو حمل الكلام على ظاهره اللغوي حيث قال: (وحمل الكلام على ظاهره الذي وضع له في اللغة فرضاً لا يجوز تعديده إلا بنصٍ أو إجماع، لأن من فعل ذلك فقد أفسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله)<sup>(١)</sup>.

والأخذ بظاهر النصوص هي خاصية إمتازوا بها عن سائر المذاهب الإسلامية الأخرى، وهذا هو الذي أعطاهم أسم الظاهرية - كما مر معنا- لهذا حمل فقه ابن حزم اسم الفقه الظاهري، لأنه لم يعتمد إلا على ظاهر الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>.

فعند الظاهرية لا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها، لأنه يجب عندهم حمل الكلام على ظاهره، ولا يجوز أن يحال عن ظاهره إلا بنص آخر أو إجماع يخبر بإحالة عن ظاهره، وفي هذا يقول ابن حزم: (ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها ولا خيراً عن ظاهره... لأن من أحال نصاً عن ظاهره في اللغة بغير برهان من آخر أو إجماع فقد إدعى أن النص لا بيان فيه، وقد حرف كلام الله تعالى وروحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم عن موضعه، وهذا عظيم جداً، مع أنه لو سَلِمَ من هذه لكان مدعياً بلا دليل)<sup>(٣)</sup>.

إلى أن قال: (فالواجب أن لا يحال نص عن ظاهره إلا بنصٍ آخر صحيح مخبرٌ أنه على غير ظاهره)<sup>(٤)</sup>.

واستدل ابن حزم على ذلك:

بقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

ووجه استدلاله بهذه الآيات: أن الله تعالى بين لنا، والبيان بالنسبة لنا إنما هو حمل لفظ القرآن والسنة على ظاهرهما، فمن صرفهما عن ظاهرهما إلى التأويل دون نص أو إجماع فقد إفترى على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق د. محمد نصر و د. محمد عميرة ٩/٣.

(٢) انظر، أبا زهرة، ابن حزم حياته وعصره، ص ٢٨٧ وص ٣٨٩، وص ٣٧٣.

(٣) ابن حزم، النبذ في اصول الفقه الظاهري، تحقيق محمد صبحي حلاق، ص ٥٩-٦٠.

(٤) نفس المرجع، ص ٦٠.

(٥) سورة الشعراء، الآية ١٩٥.

(٦) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٧) ابن حزم النبذ في اصول الفقه الظاهري تحقيق محمد صبحي حلاق، ص ٦١.

وقد شدد ابن حزم على عدم جواز إحالة النص عن ظاهره دون دليل فقال: (ومن أحال شيئاً من الألفاظ اللغوية عن موضوعها في اللغة، بغير نصٍ يحيل لها ولا إجماع من أهل الشريعة فقد فارق حكم أهل العقول والحياء)<sup>(١)</sup>.

كما تشدد الإمام ابن حزم في الأخذ بالظاهر، وكان يفتخر في ذلك ويقول:

ألم تر أني ظاهري وأنني على ما بدا حتى يقوم دليل<sup>(٢)</sup>  
وقال أيضاً:

ونخذ ظاهر الألفاظ لا تعددها إلى غاية التأويل تبقى مؤيداً<sup>(٣)</sup>

### ٣- الإجماع:

إذا لم يوجد في المسألة نص من الكتاب أو السنة فيأخذ الظاهرية بالإجماع. ولكن ليس أي إجماع، بل الإجماع المعتبر عندهم هو إجماع الصحابة رضوان الله عليهم- فقط، وقد نقل هذا في عدة مواضع من كتب الظاهرية.

قال ابن وهب: (ذهب داود وأصحابنا إلى أن الإجماع إنما هو إجماع الصحابة فقط)<sup>(٤)</sup>.

ويقول ابن حزم: (قال ابو سليمان وكثير من أصحابنا: لا إجماع إلا إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وأحتج على ذلك بأنهم شهدوا التوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد صح أنه لا إجماع الا عن توقيف، وأيضاً فإنهم رضي الله عنهم كانوا جميع المؤمنين، لا مؤمن من الناس سواهم، ومن هذه صفته فإجماعهم هو إجماع المؤمنين وهو الإجماع المقطوع به)<sup>(٥)</sup>.

وقال في موضوع آخر: (فصح بيقين لا مرية فيه أن الإجماع المفترض علينا إتباعه إنما هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم فقط)<sup>(٦)</sup>.

بل أكثر من ذلك فقد ذهب ابن حزم إلى أنه لا بد من إجماع جميع الصحابة رضي الله عنهم على أمرٍ من الأمور فيقول: (والإجماع هو ما يتيقن أن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوه، وقالوا به ولم يختلف منهم أحد كتيقننا أنهم كلهم رضي الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها أو علموا أنه صلاها مع الناس

(١) ابن حزم، الفصل في الملك والأهواء والنحل، تحقيق د. محمد نصر، ود. محمد عميرة، ٤٠/٣.

(٢) أنظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء ١٦٥٣/٤.

(٣) انظر ابن حزم قصيدة في أصول الفقه الظاهري مطبوعة مع كتاب الإشارة للباجي ص ٣٤.

(٤) الشوكات إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص ٨٢.

(٥) ابن حزم الأحكام في أصول الأحكام ١٤٧/٤.

(٦) ابن حزم النبذ في أصول الفقه الظاهري، تحقيق محمد صبحي حلاق، ص ٣٣.

كذلك، أو أنهم كلهم صاموا معه أو علموا أنه صام مع الناس رمضان في الحضر، وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين والتي لم يقربها لم يكن من المؤمنين<sup>(١)</sup>

إذا فالإجماع عند الظاهرية هو ما نقله الصحابة رضوان الله عليهم - جميعاً أو نقلته الأمة كلها عسراً بعد عصر مما علم من الدين بالضرورة، فما من مسألة في رأيهم إلا جاء بها قرآن أو سنة، فلا يكون إجماع عندهم إلا عن نص أو توقيف وتعليم من الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد قرر ابن حزم ذلك حيث قال: (لا إجماع إلا عن نص، وذلك النص إما كلام منه عليه السلام فهو منقول ولا بد محفوظ حاضر، وأما عن فعل منه عليه السلام فهو منقول أيضاً كذلك، وأما إقراره - إذا علمه فأقره ولم ينكره - فهي أيضاً حال منقولة محفوظة، وكل من إدعى إجماعاً على غير هذه الوجوه كلفناه تصحيح دعواه، في إنه إجماع)<sup>(٢)</sup>.

كما يرى الظاهرية استحالة الإجماع بعد عصر الصحابة رضوان الله عليهم - لاستحالة اجتماع جميع الأمة على أمر معين في عصر معين.

وفي ذلك يقول ابن حزم: (وأما كل عصر بعدهم فإنما هم بعض المؤمنين لا كلهم، وليس إجماع بعض المؤمنين إجماعاً، وإنما الإجماع إجماع جميعهم، وأيضاً فإنهم كانوا عدداً محصوراً، يمكن أن يحاط بهم وتعرف أقوالهم، وليس من بعدهم كذلك)<sup>(٣)</sup> فهم يرون أن إجماع كل عصر بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم إنما هو إجماع بعض المؤمنين وليس كلهم بخلاف إجماع الصحابة - رضي الله عنهم فهو إجماع جميع المؤمنين في ذلك العصر.

كذلك لا يمكن حصر عصر غير الصحابة رضي الله عنهم لاستحالة اجتماعهم لأنهم منتشرون في الأمصار بخلاف عصر الصحابة رضي الله عنهم<sup>(٤)</sup>.

لذلك أنكر الظاهرية أي إجماع غير إجماع الصحابة رضي الله عنهم لاستحالة تحصيله، وقد نقل الشوكاني قول ابن وهب في ذلك حيث يقول: (إن إتساع أقطار الأرض وكثرة العدد لا تمكن من ضبط أقوالهم، ومن إدعى هذا لا يخفى على أحد كذبه)<sup>(٥)</sup>.

فالإجماع المعتمد عند الظاهرية هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم فقط وخالفوا جمهور الأصوليين في اعتبار الإجماع مصدراً من مصادر التشريع لأنهم يرون أن إتفاق جميع المجتهدين أمر

(١) ابن حزم، مسائل من الأصول ضمن مجموعة الرسائل المنيرة، ٨١/١-٨٢ وهي أيضاً مطبوعة في مقدمة المحلى ٧٠/١.

(٢) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ١٣٦/٤.

(٣) نفس المصدر ١٤٧/٤.

(٤) أنظر ابن حزم النبد في أصول الفقه الظاهري، تحقيق محمد صبحي حلاق، ص ٣١-٣٢.

(٥) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص ٨٢.



مستحيل نظراً لتفرقهم في الأمصار وإنتشارهم في الأقطار، لذا أخذوا بإجماع الصحابة فقط لأنه كان أمراً ممكناً في رأيهم.

أما باقي مصادر التشريع التي أخذ بها جمهور الأصوليين من قياس، وأستحسان وسد الذرائع، والتقليد، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا فقد أنكرها الظاهريه.

فالقياس الذي يعتبر عند جمهور الأصوليين المصدر الرابع للتشريع بعد الكتاب والسنة والإجماع أنكره الظاهريه، وهذا الإنكار شاركهم فيه غيرهم من المذاهب كالشيعة الإمامية<sup>(١)</sup>.

وقد إشتهر النقل عن الظاهرية في إنكارهم للقياس، وألفوا في ذمه ورده مصنفات منها كتاب "ابطال القياس لإبي سليمان داود الظاهري"<sup>(٢)</sup>

وقد صنف ابن حزم كتاب: "إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد"<sup>(٣)</sup>

وقد خصه بنفسه في كتاب "ملخص ابطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل"<sup>(٤)</sup>

وكذلك صنف كتاب "كشف الإلتباس فيما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس"<sup>(٥)</sup>.

قال الشهرستاني: (ومن أصحاب الظاهر مثل داود الأصفهاني وغيره من لم يجوز القياس والإجتihad في الأحكام، وقال: الأصول هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، ومنع أن يكون القياس أصلاً من الأصول)<sup>(٦)</sup>.

وقد قال ابن حزم نظاماً:

وإن إمرؤ في الدين حكم نفسه قياساً أو إستحسان رأي لذو إعتدى<sup>(٧)</sup>

وأما الإستحسان: وهو أن يعدل المجتهد عن أن يحكم في المسألة بمثل ما يحكم به في نظائرها لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول، فبعض الأقيسة يقتضي حكماً، ولكن يستقر في نفس المجتهد أن المصلحة بخلاف هذا القياس لأدلة قامت عنده فيترك المجتهد القياس ويأخذ بالإستحسان مراعاةً

(١) انظر أبا زهرة، ابن حزم، حياته وعصره، ص، ٣٧٣، وص ٣٨٩.

(٢) انظر ابن النديم الفهرست، ص ٣٠٥.

(٣) وقد قام بدراسه "جولد سهير" أحد المستشرقين، أنظر الأعلام للزركلي ٢٥٥/٤ والاستاذ سعيد الأفغاني: ابن حزم ورسائله في المفاضلة بين الصحابة، ص ٥١.

(٤) نشر بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني طبعة دار الفكر، دمشق سنة ١٩٦٩م، وتعد هذه الرسالة خير ما يمثل مذهب ابن حزم الظاهري، فهي رسالة صغيرة في أصول الفقه الظاهري.

(٥) أنظر ابن سام الذخيرة، ١٧١/١، والمقري نفح الطيب ٧٩/٢، والذهبي تذكرة الحفاظ، ١١٥٢/٣، وسير أعلام النبلاء، ١٩٦/١٨.

(٦) الشهرستاني، المل والنحل، ٢٠٦/١.

(٧) ابن حزم، قصيدة في أصول الفقه الظاهري مطبوعة مع كتاب الإشارة للباقي، ص ٣٤.

لمصلحة العباد، وقد أخذ به الحنفية والحنابلة والمالكية أيضاً، وأنكره الشافعية حتى قال الشافعي "من استحسن فقد شرع"<sup>(١)</sup>.

وذهب الظاهرية إلى بطلان الاستحسان وعدم جواز الأخذ به في التشريع وفي ذلك يقول ابن حزم: (ثم حدث الاستحسان في القرن الثالث وهو فتوى المفتي بما يراه حسناً فقط، وذلك باطل لأنه إتباع الهوى وقول بلا برهان، والأهواء تختلف في الاستحسان)<sup>(٢)</sup>. والحق أن هذا ليس هو الاستحسان الذي يقول به جمهور الأصوليين.

وكذلك سد الذرائع: ويراد بها كل ما يتخذ وسيلةً لشيء آخر، وهذا هو المعنى العام لها، لذلك قالوا: كل ما يؤدي إلى المخطور فهو محذور، وقد أخذ به المالكية وأكثر الحنابلة، أما الظاهرية فيرون عدم جواز الأخذ به، ويعتبرون ذلك ضرباً من القول في الدين بالرأي، وهم يمنعون القول بالرأي في الدين لذلك يقول ابن حزم في منظومته:

ومن قال محتاطاً بردع ذريعة برأي رآه قد أتى اللهو والردى<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً: (كل من حكم بتهمة أو بأحتياط لم يستيقن أمره، أو بشيء خوف ذريعة أي ما لم يكن بعد، فقد حكم بالظن، وإذا حكم بالظن فقد حكم بالكذب والباطل وهذا لا يحل)<sup>(٤)</sup>.

وأما التقليد: وهو في اصطلاح الأصوليين أخذ قول الغير من غير معرفة دليله<sup>(٥)</sup> ويرى ابن حزم أن هذه البدعة حدثت في القرن الرابع الهجري<sup>(٦)</sup>.

وقد هاجم ابن حزم التقليد ومنع منه وأعتبره حراماً فقال: (والتقليد حرام، ولا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد بلا برهان)<sup>(٧)</sup>.

ويحدد ابن حزم نوع التقليد الذي يرى حرمة بقوله: (هو أخذ قول رجل ممن دون النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمرنا ربنا بإتباعه، بلا دليل يصحح قوله لكن لأن فلاناً قاله فقط)<sup>(٨)</sup>.

ويبدو لي أن ابن حزم يحكم أنه يأخذ بظواهر النصوص يرى أن النصوص واضحة بينه لا تحتاج إلى تقليد أحد، بل تؤخذ من الكتاب والسنة، فهو يحرم التقليد على العامي وبالأولى على

(١) الزركشي، البحر المحيط، ٨٧/٦-٩٤، والأمدي الأحكام في أصول الأحكام ٢٠٠/٣-٢٠٣، وابن حزم الأحكام في أصول الأحكام، ١٦/٦.

(٢) ابن حزم، ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان، ص ٥.

(٣) ابن حزم، قصيدة في أصول الفقه الظاهري، مطبوعة مع كتاب الإشارة للباحي، ص ٣٤.

(٤) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ١٣/٦.

(٥) الشوكاني إرشاد الفحول، ص ٢٦٥، وابو الخطاب الكلوثاني التمهيد في أصول الفقه، ٣٩٥/٤.

(٦) ابن حزم، ملخص إبطال القياس والرأي، ص ٥.

(٧) ابن حزم، التبذ في أصول الفقه الظاهري، تحقيق الحلاق، ص ١١٤.

(٨) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ٧٠-٦٩/٦.

العالم فيقول: (والعامي والعالم في ذلك سواء، وعلى كلٍ أحد حفظه الذي يقدر عليه من الإجتهد)<sup>(١)</sup>.

كما يرى ابن حزم حرمة تقليد أي إنسان حياً كان أو ميتاً فيقول: (لا يحل لأحدٍ أن يقلد أحداً حياً ولا ميتاً، وعلى كلٍ أحد من الإجتهد حسب طاقته)<sup>(٢)</sup>.

والظاهرية بتحريمهم التقليد قد كلفوا العامة فوق ما يطبقون من الإجتهد والبحث عن الأدلة في المسائل الفقهية والإجتهدية<sup>(٣)</sup>. بل الحق أنه يحرم على العامي أن ينصب نفسه مجتهداً في تفهم علوم الشريعة لأن فهمه إلى الخطأ أقرب منه إلى الصواب.

وأما قول الصحابي: فبناءً على ما سبق من تحريم الظاهرية للتقليد، فلا يرون حتى تقليد أحدٍ من الصحابة -رضوان الله عليهم- إذا صدر عنهم فتوى من غير حجة من الكتاب أو السنة أو الإجماع. وفي بيان ذلك يقول ابن حزم: (فصح بكل ما ذكرنا أنه لا يحل إتباع فتيا صاحب ولا تابع، ولا أحدٍ دونهم الا أن يوجبها نصٌ أو إجماع)<sup>(٤)</sup>.

فالظاهرية لا يأخذون أيضاً بمذهب الصحابي أو بقول الصحابي إلا إذا إستند الصحابي في فتواه على دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع.

وأما شرع من قبلنا: فهل هو شرع لنا، ويلزمنا العمل به، أو أنه نقل إلينا على سبيل الإخبار ولا يلزمنا العمل به اختلف العلماء في ذلك:-

- فذهب الحنفية والمالكية وأحمد في إحدى الروايتين عنه، إلى أنها شرع لنا وأنها حجة يلزمنا العمل بها<sup>(٥)</sup>.  
- وذهب الشافعية إلى أنها ليست شرعاً لنا ولا يلزمنا العمل بها<sup>(٦)</sup> وكذلك الظاهرية فيرون أنها ليست شرعاً لنا، وعلى هذا فلا يجوز عندهم الأخذ بشرع من قبلنا وفي ذلك يقول ابن حزم: (ولا يحل الحكم بشريعة نبي من قبلنا)<sup>(٧)</sup>.

#### ٤- الإستصحاب:

إن الظاهرية وقد تركوا الأخذ بالرأي بكافة ضروبه - كما تقدم - من قياسٍ واستحسان، وسد ذرائع ... الخ لا بد وأن يجعلوا لهم دليلاً يعتمدون عليه في المسائل التي لا نص فيها، فكان

(١) ابن حزم، النبذ في أصول الفقه الظاهري، تحقيق الحلاق، ص ١١٧.

(٢) ابن حزم، مسائل من الأصول ضمن مجموعة الرسائل المنيرة، ٩٢/١.

(٣) محمد زاهد الكوثري، مقدمة النبذ في أصول الفقه لابن حزم، ص ٣.

(٤) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ٨٧/٦-٨٨.

(٥) البخاري، كشف الأسرار على أصول البيهقي ٣٩٨-٣٩٩، والسرخسي في أصوله ٩٩/٢ والأمدي الأحكام في

أصول الأحكام، ١٩٠/٣.

(٦) الزنجاني، تخريج الفروع على الأصول، ص ٣٦٩، والغزالي المنحول، تحقيق د. هيتو، ص ٢٣٢-٢٣٤.

(٧) ابن حزم، النبذ في أصول الفقه، تحقيق الحلاق، ص ٩١.

إعتمادهم على أصل الإباحة الأصلية، وهذا ما حمل الظاهرية على الأخذ بالإستصحاب كدليل من أدلة التشريع والإستصحاب في اللغة: معناه طلب الصحة، وكل شيء لازم شيئاً إستصحبه جاء في المعجم الوسيط: (إستصحب الشيء لازمه)<sup>(١)</sup>.

وهو عند الأصوليين: (إستصحاب الحال لأمر وجودي أو عديمي عقلي أو شرعي، ومعناه أن ما ثبت في الزمان الماضي فالأصل بقاءه في الزمن المستقبل مأخوذ من المصاحبة، وهو بقاء الأمر ما لم يوجد ما يغيره)<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف العلماء في الأخذ به، فأخذ به الحنابلة، وأكثر الشافعية والمالكية والظاهرية<sup>(٣)</sup>. وخالف في ذلك معظم الحنفية وبعض المتكلمين<sup>(٤)</sup>.

وفي بيان مذهب الظاهرية يقول ابن حزم: (إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما على حكم ما، ثم إدعى مدعي أن ذلك الحكم قد إنتقل أو بطل، من أجل أنه إنتقل ذلك الشيء المحكوم فيه عن بعض أحواله، أو لتبدل زمانه، أو لتبدل مكانه، فعلى مدعي إنتقال الحكم من أجل ذلك، أن يأتي ببرهان - من نص قرآن أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة - على أن ذلك الحكم قد إنتقل أو بطل فإن جاء به صح قوله، وإن لم يأت به فهو مبطل فيما إدعى من ذلك، والفرض على الجميع الثبات على ما جاء به النص)<sup>(٥)</sup>.

وعلى هذا فإن معنى الإستصحاب عنده هو: (بقاء حكم المبنى على النص لا بقاء مجرد الأصل .... فهو مقيد بأن الأصل يجب أن يكون مبنياً على النص وليس على مجرد أصل ثابت من الإباحة الأصلية، وذلك لأن الأصل عند ابن حزم في الأشياء ليس هو الإباحة الأصلية، بل التوقف حتى يرد النص من الشرع)<sup>(٦)</sup>.

فهناك فرق نظري بين ابن حزم، وغيره من الأصوليين في أن الأصل في الأشياء الإباحة لأنهم يقولون ذلك بالعقل، وهو يقول أصلية الإباحة ثابت بالشرع وهو النص العام الذي خوطب به آدم وذريته، وهو قائم حتى تقوم أدلة المنع<sup>(٧)</sup>.

(١) مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، ٥٠٧/٢.

(٢) الشوكاني، إرشاد الفحول، ص ٢٣٧.

(٣) انظر الرازي، المحصول في أصول الفقه ١٤٨/٣/٢، والبدخشي، مناهج العقول، ١٢٩/٣، والأصفهاني، شرح مختصر ابن الحاجب، ٢٦٢/٣-٢٦٣، والشوكاني إرشاد الفحول، ص ٢٣٧.

(٤) أنظر الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ١٨١/٣، والإسنوي نهاية السؤل ١٣١/٣، وأمير بادشاه، تيسير التحرير،

١٧٧/٤، والشوكاني إرشاد الفحول، ص ٢٣٧.

(٥) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ٢/٥.

(٦) أبو زهرة، ابن حزم، حياته وعصره، ص ٤١١.

(٧) أبو زهرة نفس المرجع، ص ٤١١.

فالظاهرية يأخذون بالإستصحاب والبراءة الأصلية كدليل من أدلة الشرع لكنهم يعتمدون في ذلك على النص العام في البراءة الأصلية.

### المطلب الرابع: مدى إنتشار المذهب الظاهري:

إنتشر المذهب الظاهري- كما قلنا- في المشرق على يد مؤسسه داود بن علي الظاهري وصار له أتباع (حتى كان المذهب الظاهري رابع المذاهب الأربعة في القرن الرابع كما في أحسن التقاسيم، ثم حل محله المذهب الحنبلي في البلاد الشرقية منذ زمن القاضي أبي يعلي الحنبلي)<sup>(١)</sup>. ويحدد الإمام أبو زهرة فترة إنتشار المذهب بالمشرق فيقول: (وعلى ذلك إنتشر القول بالظاهر في بلاد المشرق في القرنين الثالث والرابع)<sup>(٢)</sup>.

أما عن مكان إنتشاره في المشرق فقد (إنتشر مذهبهم في العراق وفارس وخراسان، وكان منهم أناس في بلاد الشام)<sup>(٣)</sup>.

قال السبكي: (وصار له اتباع- أي داود- في بغداد وشيراز وما والاها يقال لهم: الظاهرية ووصل مذهبهم إلى الأندلس)<sup>(٤)</sup>.

وقد عظم شأن هذا المذهب في المشرق (وكان من أتباعه كثير من أصحاب الجاه بإيران، وكانوا يتقلدون بفارس الأعمال والقضاء، وكانت لهم الغلبة، لأن السلطان عضد الدولة كان ظاهرياً)<sup>(٥)</sup>.

وبعد ذلك إنتشر المذهب في بلاد المغرب والأندلس (وكان أول من نشر مبادئ مذهب أهل الظاهر في الأندلس عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال المتوفى سنة ٢٧٢هـ)<sup>(٦)</sup>. وعلى هذا فيعتبر ابن هلال أول من أدخل المذهب الظاهري إلى بلاد الأندلس. ثم جاء بعد ذلك منذر بن سعيد البلوطي المتوفى سنة ٣٥٥هـ وهو (أول ظاهري منافع في سبيل المذهب من أهل الأندلس)<sup>(٧)</sup>.

(١) محمد زاهر الكوثري، مقدمة النبذ في أصول الفقه لابن حزم، ص ٤.

(٢) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، ص ٢٩٥.

(٣) سعيد الأفغاني، مقدمة ابن حزم ورسائله في المفاضلة بين الصحابة، ص ٦٢.

(٤) عبد النظيف السبكي، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٥) د. علي حسن عبد القادر، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ص ٢٩٩.

(٦) انجل بالنشيا تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ص ٤٣٩.

(٧) نفس المرجع، ص ٤٣٩، وانظر د. أحمد بكير، المدرسة الظاهرية، ص ٣٣.

وقد انتقل المذهب من العراق إلى الأندلس عن طريق رحلات العلم فقد رحل الكثير من العلماء المغاربة والأندلسيون إلى المشرق، وما كانت عواصم المشرق الإسلامي تخلو من طلاب العلم المغاربة، فمنذ منتصف القرن الثاني وهم يتوافدون عليها ويأخذون العلم منها ثم يعودون إلى بلادهم<sup>(١)</sup>.

ثم توقف بعد ذلك إنتشار المذهب الظاهري في أيام المنصور ابن أبي عامر الحاجب ت ٣٩٦هـ بسبب إنكاره لأي مذهب غير المذهب المالكي، لكن لم تكذ تنقضي أيام المنصور حتى ظهر المذهب من جديد، وعمل على نشره في الأندلس أبو الخيار بن مفلت وتلميذه بن حزم<sup>(٢)</sup>. وأبو الخيار بن مفلت شيخ ابن حزم الظاهري، وقد تلقى ابن حزم المذهب الظاهري على يديه<sup>(٣)</sup>.

ثم جاء بعد ذلك ابن حزم الظاهري فتولى الدفاع عن المذهب الظاهري وعمل على نشره بكل ما أوتي من قوة.

ويعتبر ابن حزم في الواقع هو الذي حافظ على المنهج الظاهري بتدوينه وحفظه من الضياع، وجل ما بقي لنا منه إنما هو من آثاره، لأن ابن حزم من أقوى اتباع المذهب الظاهري، فقد ملأ الأندلس والمغرب والدنيا كلها بالفقه الظاهري<sup>(٤)</sup>.

ولو لم ينتقل المذهب الظاهري إلى الأندلس لكان مصيره مصير المذاهب الأخرى المنقرضة. وقد استفاد المذهب الظاهري من ابن حزم في أمرين:

**الأول:** أنه دون المذهب ووازنه بغيره ووضع أصوله وأحكامه وسجله في كسب لا تزال تذكر إلى اليوم.

**الثاني:** أنه حاول نشر المذهب بالدعوة إليه والدفاع عنه، وأنه وإن لم ينتشر المذهب على يديه في ذلك الوقت فقد خلده بكتبه التي جمع فيها أصول وأحكام المذهب الظاهري<sup>(٥)</sup>.

(١) د. أحمد بكير، المدرسة الظاهرية بالشرق والمغرب، ص ٣٢، وأبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية، ٣٥٢/٢.

(٢) د. أحمد بكير، المدرسة الظاهرية، ص ٣٣، وأنتل بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مونس، ص ٤٤١، ود. الطاهر أحمد مكى، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ص ٥١-٥٢.

(٣) د. عارف أبو عيد الإمام داود الظاهري، وأثره في الفقه، ص ١٤٧. ود. أحمد بكير، المدرسة الظاهرية، ص ٣٣، وأبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ٣٥٢/٢.

(٤) د. محمد سلام مذكور، مناهج الإحتهاد في الإسلام، ص ٧٠٢-٧٠٣. ود. أحمد بكير، المدرسة الظاهري، ص ٣٢، و ص ٣٥.

(٥) أنظر أبا زهرة ابن حزم حياته وعصره، ص ٥٧٥-٥٧٦. وتاريخ المذاهب الإسلامية، ٤٠٠/٢. ود. عارف أبو عيد الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه، ص ١٤٧-١٤٨.

ولم يمت المذهب بعد ذلك بموت ابن حزم بل عمل تلاميذه على نشره، وأول من نشر علمه في بلاد المشرق تلميذه الخميدي فإنه هرب من الأندلس بعد وفاة ابن حزم، ونشر المذهب في المشرق<sup>(١)</sup>.

(والخلاصة لم يكتب لهذا المذهب الإستمرار بعد القرن الخامس الهجري بالرغم من وجود أتباع له في مختلف الأقطار الإسلامية وخاصة في المغرب والأندلس)<sup>(٢)</sup>.

فقد ضعف إنتشار المذهب الظاهري بعد القرن الخامس الهجري يقول بعض المعاصرين: (وقد استمر مذهب داود متبعاً إلى منتصف القرن الخامس ثم إضمحل)<sup>(٣)</sup>.

إلا أن الله سبحانه وتعالى يشاء أن يحيي مذهب ابن حزم بعد موته فقد قامت دولة الموحدين في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع فنشرت المذهب الظاهري في الأندلس والمغرب فقد قام بعض أمرائها وهو المنصور الموحي ثالث خلفاء الموحدين بنصرة المذهب الظاهري، فقد كان ظاهرياً، وعمل على نشر المذهب الظاهري، وحمل الناس على القول بالظاهر بقوة السيف، وحرق كتب المالكية، فعظم امر الظاهريه في أيامه، وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية نسبة إلى ابن حزم<sup>(٤)</sup>.

قال أبو زهرة: (ويصح لنا أن نقول أن آخر القرن السادس وأول القرن السابع كان عصر ازدهار للمذهب الظاهري فقد عُُمِّم العمل به في شمال افريقيا وبلاد الأندلس)<sup>(٥)</sup>.

وبإنقضاء دولة الموحدين انقرض المذهب الظاهري يقول بالثنا: (وقد أسرع المذهب الحزمي إلى الزوال بعد إنقضاء أمر الموحدين)<sup>(٦)</sup>.

وعن إنقراض المذهب الظاهري يقول العلامة ابن خلدون: (ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمتته، وإنكار الجمهور على متحلته، ولم يبق إلا في الكتب المجلدة، وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بإنتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم أخذ فقههم منها، ومذهبهم فلا يخلو بطائل ويصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه، وربما عد بهذه النحلة من أهل البدع بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين، وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار إلى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه بإجتهد زعمه في أقوالهم وخالف إمامهم داود وتعرض

(١) أنظر ابا زهرة، ابن حزم حياته وعصره، ص ٥٧٦، وتاريخ المذاهب الإسلامية، ٤٠٢/٢.

(٢) عبد الرحمن الصابوني، المدخل لدراسة التشريع الإسلامي، ص ٢٢٤.

(٣) محمد الحضري، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ١٩٧.

(٤) أنظر سعيد الأفغاني، مقدمة ملخص إبطال القياس لابن حزم، ص ١٠، و د. عارف أبو عيد داود الظاهري وأثره في الفقه ص ١٤٨.

(٥) و محمد الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ١٧٣/٢، و د. زكريا إبراهيم ابن حزم الأندلسي، ص ٢٠٥.

(٦) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، ص ٥٧٨.

(٦) اغفل بالثنا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مونس، ص ٢٣٨.

للكثير من الائمة المسلمين، فنقم الناس ذلك عليه وأوسعوا مذهبه إستهجاناً وإنكاراً. وتلقوا كتبه بالإغفال والترك حتى ليحظر بيعها بالأسواق وربما تمزق في بعض الأحيان<sup>(١)</sup>.

وهكذا انقرض المذهب تماماً بدخول القرن الثامن الهجري، وبعد انقراض دولة الموحدين، ولم يبق له أثر يذكر إلا في بطون الكتب.

ويبدو لي أن أسباب انهيار المذهب وعدم انتشاره يعود إلى جمود المذهب على ظاهر النصوص وترك الإجتهد والقياس والرأي، ومنع التقليد وعدم اعتمادهم على المصادر الإجتهدية المرنة التي تعطي للفقه قابلية للتطور والنمو، وذلك حين حصروا الأصول الفقهية بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة فقط وتعرضهم بالقدح لكثير من الأئمة، مما أدى إلى انقراض المذهب، ولم يحظ بما حظيت به المذاهب الأخرى من الانتشار.

### المطلب الخامس: رأي المذاهب الأخرى في المذهب الظاهري:

اختلفت آراء المذاهب والعلماء في المذهب الظاهري، وفي الإحتجاج بأراء المذهب الظاهري في الفروع الفقهية، فالسبكي من الشافعية ينقل عن جمهور الشافعية عدم إعتبار خلاف الظاهرية في الفروع الفقهية مطلقاً وأنهم قالوا: (إنهم- يعني نفاة القياس- لا يبلغون رتبة الإجتهد، ولا يجوز تقليدهم القضاء...، وهذا هو اختيار امام الحرمين، وعزاه إلى أهل التحقيق فقال: والمحققون من علماء الشريعة لا يقيمون لأهل الظاهر وزناً... وبحق قال حبر الأصول القاضي أبي بكر: أني لا أعدهم من علماء الأمة، ولا أبالي بخلافهم ولا وفاقهم)<sup>(٢)</sup>.

هذا قول

- والقول الثاني: أن خلافهم معتبر في الفروع الفقهية مطلقاً وهو ما ذكره الأستاذ أبو منصور البغدادي.

- والقول الثالث: وهو قول ابن الصلاح ان خلافهم معتد به، إن كان خلافهم في غير القياس، أما إن كان في القياس فلا يعتد به<sup>(٣)</sup>.

كما نقل الماوردي قولان في جواز توليهم القضاء فقال: (وأما نفاة القياس فضربان):

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٨٣.

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. الطناحي، و د. الحلو، ٢/٢٨٩.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. الطناحي، و د. الحلو، ٢/٢٨٩-٢٩٠.



أ. ضرب منهم نفوه، وأتبعوا ظاهر النص، وأخذوا بأقاويل سلفهم فيما لم يرد فيه نص وطرحوا الاجتهاد، وعدلوا عن الفكر والاستنباط، فلا يجوز تقليدهم القضاء لقصورهم عن طرق الأحكام.

ب. وضرب منهم نفوا القياس، واجتهدوا في الأحكام تعلقاً بفحوى الكلام، ومفهوم الخطاب، كأهل الظاهر، وقد اختلف اصحاب الشافعي - رضي الله عنه - في جواز تقليدهم القضاء على وجهين:

أحدهما: لا يجوز للمعنى المذكور.

والثاني: يجوز لأنهم يعتبرون واضح المعاني، وإن عدلوا عن خفي القياس<sup>(١)</sup>.

وقد ذم بعض العلماء مذهب داود الظاهري واعتبروه (بدعة ظهرت بعد المائتين)<sup>(٢)</sup>.

كما حكم عليهم القاضي أبو بكر بن العربي بأنهم أمة سخيقة، وأنهم فرقة من الخوارج فقال: (هي أمة سخيقة، تسورت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم تفهمه تلقوه من إخوانهم من الخوارج)<sup>(٣)</sup>.

ويذكر ابن العربي إنتشارهم في الأندلس فيقول: (ولكنه أمر استشرى داؤه، وعز عندنا دواؤه، وأفتى الجهلة به فمالوا إليه، وغرهم رجل كان عندنا يقال له ابن حزم إنتدب لإبطال النظر، وسد سبل العير، ونسب نفسه إلى الظاهر إقتداءً بـداود وأشباعه فسود القراطيس وأفسد النفوس)<sup>(٤)</sup>.

ومع ذلك لم يفقد هذا المذهب أنصاراً من العلماء ولا سيما الحنابلة الذين كانوا ينقلون كثيراً من مسائله في الفروع الفقهية مع أدلتهم عليها، بل إن الإمام الشوكاني قد بسط مذهبهم في نقي القياس وأدلتهم عليه وأيدهم ورد على أدلة خصومهم فنقضها واحدة تلو الأخرى<sup>(٥)</sup>.

هذه مجمل آراء المذاهب في المذهب الظاهري.

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) عبد اللطيف السبكي، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٣٠٦. و د. حسن علي الشاذلي، المدخل للفقه الإسلامي، ص

٤٠١.

(٣) نقلاً عن الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/١٨٨، وتذكرة الحفاظ، ٣/١١٤٩.

(٤) ابن العربي، عارضة الأحوذى، شرح سنن الترمذي، ١٠/١١١.

(٥) سعيد الأفغاني، مقدمة ملخص إبطال القياس لابن حزم، ص ٧-٨.